واقابلها بما عندنا في احوال مشابهة ، وافاضل فيما بينها ، ولا اعتقد انني باعجابي بهم كنت في نفسي انكر ما عندنا من فضائل او اندفع لتغطية ما لديهم من سيئات ، فانني كنت مع كل لهفتي الى حرية الفتاة وانطلاقها اشمئز من رؤيتها مبتذلة او خليعة او سكرى ... واعتقد ان هذا يرجع الى مزاجي المتحفظ الذي يظل متسلطا عليّ مع كل نظرياتي التحررية .

كما انني حينما اصف مزايا الانكليز الراقية لا اعني انهم خلو من النقائص ، واذا تكلمت عن النظام عندهم والتهذيب الراقي ، فانني لا انسى كيف يهجم السارقون بقحة عجيبة على واجهات المخازن ، وفي رابعة النهار احيانا ، وعلى مرأى من الآف الانظار فيحطمون ويسرقون ويختفون كالشياطين ، وكيف يعتدي مجرموهم على النظم الاجتماعية بفظاعة لا يأتي بمثلها احطّ المخلوقات ادبا . ولا تمرّ دون ألم عميق في نفسي ذكرى نكث سياسييهم لعهود العرب بعد ان وثق هؤلاء بهم . ولكنهم كشعب خبرت ما فيه من النقائص والحسنات لا اقدر الا ان احفظ لهم ما وجدته عندهم من رقيّ ومدنية .

وقد بدأت تتفاعل في نفسي عوامل شتى من الفرح الذي اشعره بحريتي في التحرك مثل غيري من البشر ، ثم الاسى على ما يحيط بي وبابنة بلادي من كبت واسر ، حتى انني في اجتماعي مرة بالملك فيصل الاول ، ملك العراق ، وقد كان يستشفي في لندن ، وكنا كثيرا ما نزوره او يزورنا ، سألني : «ما هو رأيك بالفتاة الانكليزية ؟ » فأجبت : « الحق انه اول ما يتبادر الى ذهني هو ان اسأل نفسي وانا اتطلع اليها تتمتع بكل مسرات

Twitter: @abdullah1904